

## منظرون يقعون في فخ تعريف الإلغاء وخنق حرية التعبير

توقيع 150 كاتباً ومفكراً على رسالة بشأن العدالة والنقاش المفتوح يثير عصفاً ذهنياً



أين تنتهي حرية الكلام

وتغذية نوع جديد من التطرف الإسلامي الذي نعاني من آثاره إلى اليوم. ونرى الأسوأ في الفترة الحالية مع حجب تدخل الولايات المتحدة في سوريا وفنزويلا أو تبريره، واستمرار سجن جوليان أسانج لفضحه جرائم الحرب.

وعلى أولئك الذين دعوا الرسالة لمجرد رؤية اسم تشومسكي فيها أن يحذروا، فمثلما وفرت "الأخبار الزائفة" ذريعة لغوغل ووسائل التواصل الاجتماعي لتغيير خوارزمياتها لإبعاد اليسار من عمليات البحث، وتمازاً كما أهد تعريف "معاداة السامية" لتشويه صورة اليسار، سوف يُستغل التهديد المفترض لـ "ثقافة الإلغاء" لإسكات اليسار.

ويتوقع غالبية المنتقدين للرسالة أن تشومسكي سيقنع لاحقاً أن الرسالة فشلت بسبب هوية الأشخاص الآخرين الذين وقعوا عليها، لأن البعض مارس بشكل لا يقبل الجدل ثقافة الإلغاء وهم ينتقدونها اليوم في تلك الرسالة المثيرة للجدل أيضاً. لأن تسليط الضوء على ثقافة الإلغاء الصغيرة، مع تجاهل ثقافة الإلغاء الأكبر المدعومة من المؤسسات الكبرى، يشوه فهمنا لما هو مهدد ومن الذي يمتلك القوة.



توقيع تشومسكي لا يكفي لقبول مضمون الرسالة

الرسالة في مقال نُشر في الغارديان. ويكمن المغزى الرئيسي للرسالة في الظاهر بأن "غياب الليبرالية" هي ظاهرة جديدة، وأن حرية التعبير مهددة، وأن ثقافة الإلغاء انطلقت في اللحظة التي تمت تسميتها فيها. وهذا غير صحيح حسب رأي جوناشان كوك الذي حلل الرسالة في مقال موسع، ويقول "يمكن لأي شخص يزيد عمره عن 35 سنة أن يتذكر زمناً لم تكن فيه لدى الصحف والمواقع الإلكترونية مساحة لبريد القراء، عندما كان عدد الردود قليلاً ونداءاً، وعندما لم تكن هناك وسائل تواصل اجتماعي يمكن من خلالها تحدي الآخر أو محاسنته".

وتكمن الكُتَاب آنذاك وكُتَاب الأعمدة، مثل أولئك الذين وقعوا على الرسالة، من الاستطرد في مناجاة فردية كشفوا فيها عن آرائهم دون منح حق الرد. وفي تلك الأيام، لم يلاحظ أحد ثقافة الإلغاء لأن المنصة الإعلامية اقتضت على أولئك الذين يبيّنون آراء محدّدة، فقبل الثورة الرقمية، إذا عارضت الإجماع الضيق الذي فرضه أصحاب الثروات على وسائل الإعلام المؤسسية، فكل ما يمكنك فعله هو طباعة رسالتك وإرسالها بالبريد إلى حفنة من الأشخاص الذين سمعوا عنك.

تلك كانت ثقافة الإلغاء الحقيقية. والدليل هو أن العديد من هؤلاء الكُتَاب الغامضين سرعان ما وجدوا أن بإمكانهم جمع عشرات الآلاف من المتابعين دون مساعدة من وسائل الإعلام التقليدية عندما تمكّنوا من الوصول إلى المدونات ووسائل التواصل الاجتماعي. مزيفة على وسائل التواصل الاجتماعي أو نفي نشاط المتصيدين الروس. لكن، من المهم التنبيه إلى أن الهدف من الذي يحدث يكمن في إعادة توجيه اهتمامنا تحت أجنحة سياسية. وعلى الرغم من الطريقة التي قُدمت بها الأخبار المزيفة في وسائل الإعلام الكبرى، إلا أنها أكثر ارتباطاً باليمين، وسنجد بسهولة أسوأ الأمثلة على الصفحات الأولى من وول ستريت جورنال ونيويورك تايمز. وتنافس الأخبار المزيفة على فيسبوك الإكاذيب التي برزت غزو العراق عام 2003 والتي حرصت النخبة السياسية وأبوها في وسائل الإعلام على الترويج لها. وأدت هذه الإكاذيب إلى مقتل أكثر من مليون عراقي، وتحويل الملايين الآخرين إلى لاجئين، وتدمير بلد بأكمله.

ولم يمدد أهمية ثقافة الإلغاء في رؤية العالم للعديد من هؤلاء الكُتَاب والمفكرين، ومدى نواظهم في هذه الثقافة، نذكر حالة جوناشان فريدلاند، كاتب عمود في صحيفة الغارديان البريطانية الذي يُفترض أنه يساري ليبرالي. فعلى الرغم من أنه لم يكن من بين أولئك الذين وقعوا على الرسالة، إلا أنه يشبههم وبطبيعة الحال، دعم

بعض من وقعوا على الرسالة كثقوا مساهماتهم الخاصة في ثقافة الإلغاء في ما يتعلق بإسرائيل، بدلاً من الطعن فيها. وليس هذا مفاجئاً، حيث أصبحت الحاجة إلى مواجهة الانتقادات الموجهة لإسرائيل أكثر إلحاحاً عندما أصبحت دولة منبوذة. ورفضت إسرائيل تأكيد محادثات السلام مع الفلسطينيين وكثفت جهودها لتحقيق خطط لضم أراضٍ من الضفة الغربية في انتهاك للقانون الدولي.

وبدلاً من السماح بنشر "خطاب مضاد قوي من جميع الجهات" حول إسرائيل، يُفضل مؤيدوها تقديم معارضيهم في صورة تجعلهم من أعداء حرية التعبير.

## تسليط الضوء على ثقافة الإلغاء الصغيرة، مع تجاهل ثقافة الإلغاء المدعومة من المؤسسات الكبرى، يشوه فهمنا لما هو مهدد ومن الذي يمتلك القوة

ويدافع العديد من أولئك الذين وقعوا على الرسالة عن حقهم في مواصلة السيطرة على الساحة العامة دون مساءلة. حيث أمضت باري وايس سنوات في محاولة طرد الأساتذة المسلمين من جامعة كولومبيا بسبب انتقادهم لإسرائيل، قبل أن تحصل على وظيفة في صحيفة وول ستريت جورنال ثم صحيفة نيويورك تايمز. وتحزرت تحت راية "الحرية الأكاديمية"، مدعية أن الطلاب الموالين لإسرائيل شعروا بالخوف في الفصول الدراسية.

وسبق أن خلص تقرير لاتحاد الحريات المدنية في نيويورك إلى أن وايس تجسّد التهديد الحقيقي للحرية الأكاديمية، وليس الأساتذة. ولم تكن مجرد شابة طائشة. ففي كتاب نُشر في العام الماضي، أشارت فايس إلى جهودها لتخليص جامعة كولومبيا من هؤلاء الأساتذة كجزء من تجربة تكوينية تعتمد عليها إلى اليوم.

## غياب الليبرالية

لفهم مدى أهمية ثقافة الإلغاء في رؤية العالم للعديد من هؤلاء الكُتَاب والمفكرين، ومدى نواظهم في هذه الثقافة، نذكر حالة جوناشان فريدلاند، كاتب عمود في صحيفة الغارديان البريطانية الذي يُفترض أنه يساري ليبرالي. فعلى الرغم من أنه لم يكن من بين أولئك الذين وقعوا على الرسالة، إلا أنه يشبههم وبطبيعة الحال، دعم

غزو العراق، وباري وايس وهي كاتبة عمود في صحيفة نيويورك تايمز، لأنها وجدنا أن حياتهما تزداد صعوبة لتاريخهما المرتبط بالدفاع عن الحروب وتدمير البلدان مثل العراق وليبيا، ولم يدفعوا أي ثمن عندما تبين خطر تحليلاتهما وتنبؤاتهما. وفي الوقت نفسه، اكتشف المعتدلون مثل إيان بوروما وج.ك. رولينغ مؤلفة سلسلة هاري بوتر صعوبة التنقل في تضاريس سياسات الهوية دون تعثر.

## أخبار مضلّة

لا تعني حقيقة أن جميع هؤلاء الكُتَاب والمفكرين مهتمون بنفس القدر بحماية الحق في أن يكون المرء صريحاً أو مترياً للجدل.

ويدافع تشومسكي عن حرية تعبير الجميع، لأنه يفهم أن الأقوياء حريصون على إيجاد مبررات لإسكات أولئك الذين يتحدون قوتهم، فالنخب تحمي حرية التعبير بقدر ما تخدم مصالحها في السيطرة على الرأي العام. وعلى نقيض ذلك، يهتم جل الموقعين بحرية التعبير لمصلحتهم الخاصة بقدر ما يسمح لهم بمواصلته الهيمنة على الفضاء العام بأرائهم وهو أمر اعتادوا عليه قبل أن تبدأ وسائل التواصل الاجتماعي في التدقيق في ما يقولون وينشرون.

ويختلف المنتصمون إلى التيارات الوسطية واليمينية بادعاءات تزعم بأن أي شخص يتحداهم هو مُرُوج "أخبار زائفة" أو من "المتصيدين الروس" وتجسّد تهمة "غير أميركي" ثقافة الإلغاء في أسوأ حالاتها. ولهذا السبب، ينصح الكاتب جوناشان كوك "كان من الأفضل أن يختار تشومسكي عدم إضافة اسمه، على الرغم من أنه مؤيد للحرية".

ومن المؤيد للاهتمام تعريف نسبة كبيرة من الذين وقعوا على الرسالة، بأنهم من المؤيدين المتحمسين لإسرائيل. وكما يعرف منتقدو إسرائيل جيداً، كان مناصرو إسرائيل في طليعة ثقافة الإلغاء قبل صياغة المصطلح. فعلى مدى عقود، سعى النشطاء الموالون لإسرائيل لإسكات أي شخص يرون أنه ينتقد هذه الدولة الصغيرة التي ترعاها القوى الاستعمارية لزرعها في منطقة غنية بالموارد الطبيعية والنظمت بتكلفة باهظة على السكان الفلسطينيين الأصليين. ولا يشجعنا شيء على الاعتقاد بأن المدافعين المتحمسين عن إسرائيل من بين أولئك الذين وقعوا على الرسالة قد راوا خطاهم السابق. حيث يعدّ الأمر دليلاً على أنهم بدأوا يعانون من تبعات نفس ثقافة الإلغاء التي روجوا لها من قبل. وتشير الأدلة إلى أن

أكثر من الترحيب الأمر الذي دفع بعض الموقعين إلى الانسحاب لاحقاً والاعتذار عنها؛ مثل الكاتبة في نيويورك تايمز جنيفر فيني بويلان التي كتبت على حسابها في تويتر "لم أكن أعرف من وقع على تلك الرسالة. اعتقدت أنني كنت أؤيد رسالة ذات معنى جيد... أنا أسفة جداً". كما تراجعت المؤرخة كيري غرينيدج وسحبت اسمها وكتبت "لا أؤيد رسالة هاربر"، وبالفعل جرى محو اسمها من الموقعين.

تجمع الرسالة تحالفاً غير متوقع من اليساريين والمعتدلين والمحافظين الجدد دفاعاً عن حرية التعبير. وعلى الرغم من أن الرسالة لم تعتمد مصطلح ثقافة الإلغاء صراحة إلا أن المقصود واضح في الشكوى من المناخ الثقافي "الخنق" الذي يفرض "التوافق الأيديولوجي" ويضعف "قواعد المناقشة المفتوحة والتعايش مع الاختلافات".

إلا أن الكاتب جوناشان كوك يرى من السهولة بمكان دعم حجة الرسالة الداعية للتسامح والنقاش الحر والعدل، لكن الحقيقة تكمن في أن العديد من الذين وقعوا هم من المناقنين الذين لم يظهروا التزاماً تاماً بحرية التعبير في أفعالهم. وتبدو نية الكثيرين منهم عكس هدفهم المعلن: فهم يريدون خنق حرية التعبير، وليس حمايتها. وفهم ما يحدث بالفعل، نحتاج إلى فحص دوافع الرسالة بدلاً من جوهرها. وبدأت ثقافة الإلغاء كتهشير عبر وسائل التواصل الاجتماعي للأشخاص الذين سُمعوا وهم يقولون أشياء مسيئة، لكن الأمر تطور في الأونة الأخيرة، وأصبحت ثقافة الإلغاء في بعض الأحيان مع طرد الأفراد أو حرمانهم من فرصة التحدث في مكان عام أو نشر أعمالهم.

وتستنكر الرسالة هذا النوع من "الديمقراطية غير الليبرالية". وقد أشار الموقعون إلى أنهم يتمسكون بقيمة الخطاب المضاد من جميع الجهات، ولكنهم لا يدعمون "الانتقام السريع والشديد" رداً على التجاوزات المحتملة. وتثير مجموعة الموقعين التساؤل المريب، فإذا كنا نعيش في عالم أكثر عدالة، فإن بعض هؤلاء مثل ديفيد فروم، كاتب الخطابات السابق للرئيس جورج دبليو بوش، وأن ماري سلوتر، المسؤولة السابقة في وزارة الخارجية الأميركية ينبغي أن يواجهوا المحكمة لتورطهم في جرائم الحرب ودورهم في دعم احتلال العراق، عوضاً عن اعتبارهم أبطالاً في الدفاع عن حرية التعبير. وهذا دليل على أن هؤلاء الأفراد المختلفين وقعوا على الرسالة لأسبابهم الخاصة.

وقع نعوم تشومسكي على مضمون الرسالة لأنه كان مدافعاً دائماً وثابتاً عن حرية التعبير. ووقع فروم الذي صاغ مصطلح "محور الشر" الذي علل

ما زال الجدل يتفاقم بين الأوساط الثقافية والمعرفية، فضلاً عن وسائل التواصل الاجتماعي على الرسالة التي حملت توقيع 150 كاتباً ومفكراً من مختلف دول العالم ونشرتها مجلة "هاربر" الأسبوع الماضي. فقد تم وضع مضمون الرسالة تحت التشريح المعرفي والنقدي وكشف التناقضات بين منتهى الواقع الذي يشهده العالم.

لندن - يتصاعد الجدل النقدي على ما نشر في الرسالة المفتوحة بشأن "العدالة والنقاش المفتوح" التي وقع عليها 150 كاتباً وسياسياً التي طالبت المحتجين في كل مكان بعدم الانجرار إلى ما وصفته بـ "ثقافة الإلغاء"، ومرد ذلك إلى أهمية الأسماء التي وقعت عليها مثل المفكر الأميركي نعوم تشومسكي، والكاتبة جي.كي. رولينغ، والروائي سلمان رشدي، والكاتبة مارغريت أتوود وديفيد فروم كاتب الخطابات السابق للرئيس جورج دبليو بوش، وأن ماري سلوتر المسؤولة السابقة بوزارة الخارجية الأميركية. واعتبر المنتقدون أن غالبية الموقعين على الرسالة كُتَاب مكرسون لديهم "منصات أكبر وموارد أكثر من معظم الآخرين" وليسوا معرضين لخطر الصمت أو الإسكات أو الإلغاء، بل إن بعضهم متهم برفع شعار "الحرب تجلب الحرية" الذي أطلقه وزير الدفاع الأميركي السابق دونالد رامسفيلد خلال احتلال العراق.

ووفقاً لما جاء في الرسالة التي أشارت إلى زيادة في مجموعة جديدة من المواقف التي تميل إلى إضعاف معايير النقاش المفتوح وتسامح الاختلافات لصالح التوافق الأيديولوجي، أكد الموقعون "بينما تنسحب بالتطور الأول، نرفع أصواتنا ضد الثاني".

## من اليسار إلى اليمين

ولفتت الرسالة إلى أن الليبرالية اكتسبت قوة في جميع أنحاء العالم إلا أن الرئيس الأميركي دونالد ترامب يمثل تهديداً للديمقراطية، لكنها لفتت أيضاً إلى أن مقاومة هذا التيار لا ينبغي أن تنجر إلى ممارسات إكراهية متصلة "يستغلها الديماغوجيون اليمينيون بالفعل"، وأشارت إلى أنه "لا يمكن تحقيق الإصلاح الديمقراطي الذي نريده إلا إذا تحدثنا بصراحة ضد المناخ غير المتسامح الذي ساد في جميع الجوانب". ونهت الرسالة إلى رواج "عدم التسامح مع الآراء المعارضة، واللجوء إلى التشهير العام والنزب، والميل إلى حل قضايا المنعقدة باليقين الأخلاقي الأعمى. نحن نتمسك بقيمة الكلام المضاد القوي بل والقاسي من جميع الجهات، ولكن من الشائع الآن سماع نداءات من أجل رد انتقامي سريع وشديد". إلا أن تشريح مضمون الرسالة أثار من النخبة



جوناشان كوك:

العديد من الموقعين على الرسالة من المناقنين الذين لم يظهروا التزاماً تاماً بحرية التعبير في أفعالهم



ديفيد فروم صاغ خطابات بوش في احتلال العراق ووقع اليوم على رسالة تطالب بحماية حرية التعبير